

تفسير البحر المحيط

@ 397 @ التنفيس من السين ، ولم يعد الضمير عليهم فيقال : وسوف يؤتيهم ، بل أخلص ذلك الأجر للمؤمنين وهم رفقاؤهم ، فيشاركونهم فيه ويساهمونهم . وكتب يؤت في المصحف بغير ياء ، لمّا حذفت في اللفظ لالتقاء الساكنين حذفت في الخط ، ولهذا نظائر في القرآن . ووقف يعقوب عليها بالياء ، ووقف السبعة بغير ياء اتباعاً لرسم المصحف . وقد روى الوقف بالياء عن : حمزة ، والكسائي ، ونافع . وقال أبو عمرو : ينبغي أن لا يوقف عليها لأنه إن وقف بغير ياء خالف النحويين ، وإن وقف بياء خالف لفظ المصحف . والأجر العظيم هو الخلود في الجنة . .

{ مَّا يَفْعَلُ اللَّاهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ } { الخطاب قيل : للمؤمنين . وقيل : كـ للكافرين ، وهو الذي يقتضيه سياق الكلام . وهذا استفهام معناه النفى أي : ما يعذبكم إن شكرتم وآمنتم . والمعنى : أنه لا منفعة له في ذلك ولا حاجة ، لأن العذاب إنما يكون لشيء يعود نفعه أو يندفع ضرره عن المعذب ، وإلا تعالى منزله عن ذلك ، وإنما عقابه المسيء لأمر قضت به حكمته تعالى ، فمن شكره وآمن به لا يعذبه . . وما استفهام كما ذكرنا في موضع نصب بفعل ، التقدير : أي شيء يفعل إياكم بعذابكم . والباء للسبب ، استشفاء أم إدراك نار ، أم جلب منفعة ، أم دفع مضرة ، فهو تعالى منزله عن ذلك . وأجاز أبو البقاء أن تكون ما نافية ، قال : والمعنى : ما يعذبكم . ويلزم على قوله أن تكون الباء زائدة ، وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي : إن شكرتم وآمنتم فما يفعل بعذابكم . .

ذكر عن ابن عباس أن المراد بالشكر هنا توحيد الله . وقال الزمخشري : (فإن قلت) : لم قدم الشكر على الإيمان ؟ (قلت) : لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهماً ، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المؤمن به المنعم آمن به ، ثم شكر شكراً مفصلاً ، فكان الشكر متقدماً على الإيمان ، وكان أصل التكليف ومداره . وقال ابن عطية : الشكر على الحقيقة لا يكون إلا مقترناً بالإيمان ، لكنه ذكر الإيمان تأكيداً وتنبيهاً على جلاله موقعه انتهى . وأبعد من ذهب إلى أنه على التقديم والتأخير أي : إن آمنتم وشكرتم . .

{ وَكَانَ اللَّاهُ شَاكِراً عَلِيماً } شاكراً أي : مثيباً موفياً أجوركم . وأتى بصفة الشكر باسم الفاعل بلا مبالغة ليدل على أنه يتقبل ولو أقل شيء من العمل ، وينميهِ عليماً بشركم وإيمانكم فيجازيكم . وفي قوله : عليماً ، تحذير وندب إلى الإخلاص تعالى . وقيل

: الشكر من الله إدامة النعم على الشاكر . .

{ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَاهِلَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ } قال مجاهد : تضيف رجل قوماً فأساؤا قراه ، فاشتكاهم ، فعوتب ، فنزلت . وقال مقاتل : نال رجل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه والرسول عليه السلام ، حاضر ، فسكت عنه أبو بكر مراراً ثم رد عليه ، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم (فقال أبو بكر : يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئاً ، حتى إذا رددت عليه قمت ، فقال : (إن ملكاً كان يجيب عنك ، فلما رددت عليه ذهب وجاء الشيطان) فنزلت . ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه تعالى لما